

## الفكر الفلسفي عند المعتزلة وأثره في الأدب العربي

**The philosophical thought of the Mu'tazilites and their impact on Arabic literature**

\* محمد زبير جاويد

\*\* أ. د- راحيله خالد قريشي

**Abstract:**

There are five major sects in the Muslim Ummah, one of which is Mu'tazilah, Sunni, Khawarij, Shia, Mu'tazilah and Batinia.

The Mu'tazilites were a rationalist sect founded by Khawaja Hassan Basri, a student of Wasil bin Ata al-Ghazal of Iranian descent. According to him, the Qur'an is a creation, monotheism can be known rationally.

This sect came into existence in the early part of the second century AH and its first follower was Amr ibn Ubaid who was a disciple of Hasan Basri. the religion of the Mu'tazilites is based on reason.

It became official religion in the era of Caliph Mamun ul-Rashid.

In this following paper, I have tried to illustrate their ideology, on which their sect was based. I have also narrated their literary words in the light of their philosophical thought approach and also mentioned its effect on Arabic literature.

**Key Word:** Mu'tazilah, Rationalist, Iranian Descent, Qur'an, Sunni, Khawarij, Shia, Batinia, Arabic literature.

\* باحث بمرحلة الدكتوراة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الاسلامية بمأول بور

\*\* رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الاسلامية بمأول بور

## تعريف المعتزلة لغةً واصطلاحاً:

لا بد أن نعرف أولاً ما هو الاعتزال في اللغة لمعرفة معنى هذه الكلمة

## الاعتزال لغة:

مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزِلُونِ﴾<sup>(1)</sup> أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي-

وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون- هذا في اللغة<sup>(2)</sup>

## أما المعتزلة في الاصطلاح:

"فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية"<sup>(3)</sup>

وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري<sup>(4)</sup>

أما ابن خلكان وجماعة معه، فيذكرون:

"أن الذي سماهم بهذا الاسم هو المحدث المشهور قتادة بن دعامة السدوسي، المتوفى سنة (117)هـ، وكان قتادة من علماء البصرة، وأعلام التابعين، ومن أصحاب الحسن البصري، دخل يوماً مسجد البصرة وكان ضريراً فإذا بعمر بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا حلقة الحسن البصري

<sup>1</sup> - الدخان: 21

<sup>2</sup> - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (المتوفى: 711هـ) لسان العرب، 11/440

<sup>3</sup> - عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مكان النشر: بغداد؛ الناشر: مطبعة الإرشاد، تاريخ النشر، ص83

<sup>4</sup> - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 13



والرأي الأقرب و قول الأكثرية، وهو أن رأس الاعتزال هو واصل بن عطاء، وأنه نشأ في سنة ما بين (105 إلى 110) للهجرة في البصرة نتيجة للمناظرة في أمر صاحب الكبيرة ثم خروج واصل برأيه المخالف لشيخه الحسن البصري؛ وبعد ذلك أضاف إلى رأيه في مرتكب الكبيرة آراء أخرى أصبحت فيما بعد من أصول المعتزلة، ومن ثم أخذ كل عالم من علمائهم يأتي برأي حتى تكونت هذه الفرقة-

أما المكان الذي نشأ فيه الاعتزال، فإنه يكاد يجمع الباحثون على أنه البصرة، ولكن بعضهم يقول: إنه نشأ بالمدينة استناداً إلى أن المعتزلة السياسيين كانوا في المدينة، وكذلك الزهاد، وعلى ما يزعمه بعض الناس من أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية، والاثنتان كانا يسكنان المدينة، بالمدينة ولد واصل بن عطاء وسكن فيها في صباه، وأخذ الاعتزال عن أبي هاشم الذي تقدم ذكره آنفاً، يقول الملطي: "إن واصل حمل الاعتزال معه من المدينة إلى البصرة"- (9)

والصحيح أن الاعتزال نشأ بالبصرة؛ أما ما ذكره، فإنما المقصود به الاعتزال السياسي واعتزال الزهاد. أما زعم بعضهم أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية، فليس بصحيح، وإنما هذا من وضع كبار المعتزلة الذين يجبون أن يكسبوا مذهبهم بعض الأصالة والقداسة في نسبه إلى ابني محمد بن الحنفية، لكي يصلوا من ذلك إلى نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما أنه ليس هناك أسانيد تثبت صحة ما زعموه، وأيضاً: فقد أثر عن علي رضي الله عنه النهي عن الخوض في القدر-

أما قول الملطي أن واصل حمل الاعتزال معه من المدينة إلى البصرة فليس بصحيح؛ لأنه إما أن يكون بنى قوله على ما ذكر من وجود المعتزلة السياسيين والزهاد بالمدينة، وعلى زعم البعض أن الاعتزال أخذ عن أبي هاشم. أولاً إن كان الأول، فقد أبطلناه مسبقاً، فإذا بطل الأصل، بطل ما ينبني عليه، وإن كان الآخر فممن أخذ الاعتزال في المدينة؛ حينئذ يحتاج إلى دليل ولم يبين. إذا ثبت بطلانه-

9 - عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية. 85

إضافة إلى ذلك: "فإن واصلاً كان تلميذاً للحسن، وتربى على يديه ولم يفارقه إلا عندما خالفه في مسألة مرتكب الكبيرة، وأبعده الحسن عن مجلسه"-(10)

**إبطال مزاعم الشيعة والمستشرقين:**

ومن الشبهات التي أثيرت في العصر الحديث محاولة جملة من المستشرقين الربط بين اعتزال جملة من الصحابة لأحداث الفتنة الأولى، ومسمى المعتزلة الذي ظهر في أول القرن الثاني الهجري، واتخذوا من عبارات المؤرخين دليلاً على قدم مذهب الاعتزال، وأن اعتزال واصل هو امتداد لاعتزال الصحابة للفتنة، ومن هذه النصوص التي اعتمدوا عليها ما ذكره الطبري على لسان المغيرة بن شعبة، عندما سأل عمرو بن العاص، فقال له:

"يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسالك عنه: كيف ترانا، معشر المعتزلة؟ فإننا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نتأني، وثبتت، حتى تجتمع الأمة، قال أراكم، معشر المعتزلة، خلف الأبرار، وأمام الفجار" (11)

وقد حاول الشيعة المعتزلة من الزيدية الذين خلطوا بين الاعتزال، والتشيع، نفي ما قاله واصل وعمرو في الصحابة، بلا دليل يصح؛ حيث يقول نشوان الحميري:

"ومن الناس-من يقول سمو معتزلة لاعتزالهم علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه، وليس كذلك؛ لأن جمهور المعتزلة، وأكثرهم، إلا القليل الشاذ منهم، يقولون: إن علياً كان على الصواب، وإن من حاربه فهو ضال" (12)

وما يقوله الشيعة المعتزلة من الزيدية هنا مردود-

### عوامل ظهور المعتزلة وانتشار أفكارهم:

لقد أدى ظهور المعتزلة وانتشار أفكارهم عوامل عدة، منها ما يلي:

#### 1- حل مشاكل الخلاف بين المسلمين:

<sup>10</sup> - مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، ص 668

<sup>11</sup> - الطبري، ابن جرير، تاريخ الأمم والرسول، 3/106

<sup>12</sup> - الحميري، نشوان بن سعيد، الحور العين، مكتبة الخانجي، 1948، ص 259

على أثر ركود حركة الفتح واستقرار المسلمين في الأمصار نشأت بينهم مشاكل اجتماعية كثيرة، كان حتما عليهم أن يدرسوها ويجدوا لها حولا شافية يقبلها الدين الإسلامي، ومن المشاكل التي أثرت أكثر مما سواها مشكلة مجرمي الأمة أو ما يدعون مرتكبي الكبائر التي ما دون الشرك؛ وذلك أنه كثر إقدام الناس على ارتكاب الكبائر بسبب اختلاف القادة على الخلافة، وما قبله من الفتن التي أدت إلى مصرع عثمان رضي الله عنه ونشوء الحرب بين علي وأصحاب الجمل، ثم بين علي ومعاوية، فتفرق المسلمون أحزابا ووقعوا في صراع دموي ذهب بالطيبين من أعلام الصحابة، وراح المسلمون يكفر بعضهم بعضا، وانشغلوا عن أعمال الفتح بتبادل السباب، يضاف إلى هذا أن المسلمين انتقلوا بعد الفتح من محيط الصحراء الضيق إلى محيط واسع فيه كثير من ضروب اللهو والترف وأسباب الفساد، فحز ذلك في نفوس القوم، ولا سيما أهل العلم والأخبار، وساءهم أن يروا إخوانهم المسلمين يجترئون على المعاصي، ويقتل بعضهم بعضا بلا سبب، فعكفوا على هذه المشكلة يدرسونها، ويصدرون أحكامهم فيها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كل على حسب اجتهاده، فكثرت بسبب ذلك المناظرات، واشتهرت المجادلات واختلاف الرأي"-(13)

"وكان أهل السنة والجماعة يرون أن مرتكب الكبيرة التي ما دون الشرك أنه مؤمن، فكبيرته لا تخرجه من الإيمان، ولا تدخله في الكفر، لبقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان، ولكنه يعاقب عليه"-(14)

ويستدلون بأمور، منها:

**الأول:** النصوص الناطقة بإطلاق المؤمن على المعاصي، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾-(15)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾-(16)

13 - عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 14

14 - سعد الدين التفتازا □، العقائد النسفية، ص 117

15 - البقرة: 178

16 - التحريم: 8

**الثاني:** "إجماع الأمة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتهم على الصلاة على من مات من المسلمين من غير توبة، والدعاء له ودفنه في مقابرهم مع علمهم بحاله"-(17) وقد رفض الخوارج حكم أهل السنة في مرتكب الكبيرة، ووضعوا فيه حكماً مخالفاً، فقالوا ما عدا النجيدات منهم:

"إن مرتكب الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة كافر مخلد في النار ذلك لأنهم كانوا لا يعتبرون الإيمان تاماً بدون العمل"-(18) وكما رد الخوارج حكم أهل السنة، فإن المرجئة اعترضوا على حكم الخوارج، وكونوا في مرتكب الكبيرة رأياً يعتبر بمثابة الرد على الخوارج، فقالوا:

"نظراً لأن الإيمان هو عمود الدين، وليس العمل داخلاً في الإيمان، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فقد قرروا أن مرتكب الكبيرة مؤمن وأرجأوا أمر معصيته إلى الله تعالى يوم القيامة ليحكم فيه ما يشاء"-(19)

والأدلة على تأثر المعتزلة بالمسائل الإلهية التي أثارها المسيحيون كثيرة منها:

- 1- ورد في كتب المؤرخين نصوص تشير إلى أن المسلمين أخذوا عن المسيحيين بعض أقوالهم-(20) فقد ذكر المقرئ: أن أول من تكلم بالقدر في الإسلام هو معبد الجهني"-(21)
- أخذ ذلك عن نصراني من الأساورة يقال له أبو يونس، ويعرف بالأسواري(22) وروى ابن قتيبة أن غيلان الدمشقي أكبر داعية إلى القدر بعد الجهني، كان قبطياً، ولذا يدعون غيلان القبطي (23) وفي ذلك إشارة إلى أصله المسيحي
- 2- ومن الأدلة أيضاً على تأثر المعتزلة بالمسيحيين ما نراه من الشبه بين كثير من عقائدهم وبين أقوال يحيى الدمشقي والمسائل الدينية التي كان يعالجها... فلا يعقل أن يكون ذلك الشبه وليد الصدفة أو

17 - سعد الدين التفتازا □، العقائد النسفية. 117

18 - عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 73

19 - اسفرايني ابو المظفر طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص 905

20 - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعود المعتق، ص 25 نقلا عن مجلة الشرق 1/633

21 - الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ميزان الاعتدال 183/3.

22 - عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق 17، فرق وطبقات المعتزلة. 38

23 - كتاب المعارف لابن قتيبة 166، 207

من قبل توارد الأفكار والخواطر، لأنها لا تقتصر على قول واحد أو فكرة واحدة، بل تظهر جلياً في مسائل متعددة منهُ:

1- القول بخير الله تعالى: كان يحيى الدمشقي يقول: إن الله خير، ومصدر كل خير، وأن الفضيلة هبة منه تعالى، بما أصبح الإنسان قادراً على فعل الخير، فلولا المعونة الإلهية لما استطاع أحد أن يأتي شيئاً من الخير أبداً، والمعتزلة كانوا يذهبون إلى مثل هذا القول في خير الله تعالى، ويرون أن الله لا يفعل الشر، ولا يوصف بالقدرة على فعله.  
2- القول بالأصلح: ثم إن يحيى الدمشقي كان يرى أن الله تعالى يهيئ لكل شيء في الوجود ما هو أصلح له، وهذا شبيه بعقيدة الأصلح التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المعتزلة، وخلاصتها: أن الله تعالى لا يفعل لعباده إلا ما فيه صلاحهم من هذا العرض اتضح لنا أن للديانات الأخرى أثر في نشأة المعتزلة وخصوصاً اليهودية والمسيحية، وأن أثر المسيحيين أكثر من غيره.

ومن الضروري أن نذكر في هذا الصدد أن المعتزلة لم يتأثروا في بادئ الأمر بأرباب الديانات الأخرى مباشرة، فقد سبقهم جماعة اطلعوا على عقائد المسيحية واليهودية وأخذوا يدرسونها ويتحدثون عنها، وهم فرقتان: فرقة قالت بخلق القرآن ونفي الأزلية، وأخرى قالت بنفي القدر. وأول رجال الفرقة الأولى: هو الجعد بن درهم الذي أظهر مقالته في زمن هشام بن عبد الملك -وعن الجعد أخذ الجهم بن صفوان أكثر أقواله، وكان الجهم جبرياً لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، وكان فوق ذلك ينفي الصفات، ويقول بخلق القرآن وفناء الجنة والنار، وفناء حركات أهلها، وإنكار الرؤية السعيدة، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع، فانتشرت مقالته بـ (ترمذ) من أعمال خراسان (24)

ويحسن بنا بعد هذا أن نشير إلى شيتين آخرين:

الأول: أن المعتزلة؛ "وإن كان أكثر ردهم على المجوسية والجبرية، فقد كانوا لا يتأخرون عن الرد على جميع المخالفين كائنين من كانوا، فهذا الجاحظ وضع الكتب الكثيرة في الرد على النصارى واليهود والزيدية- كما أنهم قاوموا الخوارج"- (25)

<sup>24</sup> - عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 24

<sup>25</sup> - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 6/107



الثاني: "أن المعتزلة كانوا أشداء على خصومهم متمسكين بعقائدهم حتى أنهم لم يتساهلوا مع بعض رجالهم حين جاءوا بأمور مخالفة، وأبدوا آراء شاذة؛ فقد اعترضوا جميعا على بشر بن المعتز في اللطف، وناظروه فيه حتى رجع زعنه، ونفوا حفص الفرد لما قال بالجبر وحاربوه، وتصدى له أبو الهذيل فناظره حتى غلبه"-(26)

كذلك فإن المعتزلة لم يكتفوا بالرد على المخالفين وتقطيعهم، بل تعدوا ذلك إلى الدعوة إلى الدين الإسلامي، فقد كانوا يرسلون الوفود من أتباعهم لهذا الغرض إلى البلاد التي يكثر فيها المجوس أو غيرهم من الوثنيين، فقد أرسل واصل بن عطاء عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص ابن سالم إلى خراسان، فأجابهما خلق كثير، ودخلوا في الإسلام(27)

يظهر من كل ما ذكر أن المعتزلة بذلوا جهدا في الدفاع عن الدين الإسلامي، والدعوة إليه. ولكن المرء لا يسعه وهو يطالع قصة أعمالهم في الدعوة إلى الدين الإسلامي، والدفاع عنه، إلا أن بداخله بعض الشك في حقيقتها، ويساوره شيء من التردد في قبولها على علاقتها، لأنها لا ترد مفصلة إلا في كتب المعتزلة أنفسهم، على حين لا تتعرض لها المصادر الأخرى بشيء إلا إشارة وتلميحاً. لكن على العموم إن صحت كلها أو بعضها، فإنها دليل على خوض رجال المعتزلة في المناظرات والمجادلات، ومعلوم أن المجادلات تولد الأفكار وتنمي المبادئ وتنشرها، وتجعل لأصحابها ذيوعا وشهرة ينتج عنهما كثرة الأتباع، وبالتالي انتشار المبادئ والأفكار(28)

### دراسة الفلسفة:

حين أخذ المعتزلة على أنفسهم مهمة الدفاع عن العقائد الإسلامية، والدعوة إليها، وحين تعرضوا لمخالفاتها يجادلونهم؛ تبين لهم أن أولئك القوم أمضى منهم سلاحا، وأقدر على الجدل والمناظرة؛ ذلك لأنهم كانوا أصحاب حضارة قديمة وثقافة عالية، وكان لهم معرفة بالفلسفة والعلوم العقلية واطلاع على كتب الفلاسفة الأقدمين يستوي في ذلك سكان سوريا ومصر وفارس والعراق، فالسوريون والمصريون كانوا تابعين للدولة البيزنطية وريثة الدولة الرومانية في الشرق، لها حضارة مزيج

26 - ابن الخياط، عبد الرحيم بن محمد، الانتصار للخياط. 65

27 - فرق وطبقات المعتزلة 44 والحاشية من نفس الصفحة، وانظر ص 53 من نفس الكتاب.

28 - أحمد بن يحيى المرتضى، المنية والأمل. 19

من مدينتي اليونان والرومان؛ لذلك فإنهم تأثروا بتلك الحضارة، واقتبسوا عنها كثيرا من عناصرها، وأسسوا المدارس ليتلقوا فيها الفلسفة والعلم، ويشتغلوا بترجمة الأسفار الإغريقية، فقد كانت لهم مدرسة كبيرة في الإسكندرية؛ وهي وإن كان رجالها قد انصرفوا في الفترة التي سبقت الإسلام إلى الدروس الفلكية والطبية والكيمائية؛ إلا أنها كانت قبل ذلك ميدانا لحركة لاهوتية (29) واسعة. ترمي إلى دمج الدين اليهودي بالفلسفة، وقد ظهر صدى هذه الحركة في المدارس السورية؛ ولا سيما مدرسة أنطاكية التي لعبت دورا مهما في اللاهوت، والتي نتج عن أبحاثها تكون الفرق المسيحية التي اختلفت حول طبيعة السيد المسيح كالنسطورية (30) واليعقوبية (31)

وكانت تقوم في شمال شرق سوريا على الحدود بينها وبين العراق أربع مدارس أخرى، اثنتان منها للنساطرة السريان؛ هما: مدرسة نصيبين (32) الأولى، ومدرسة الرها، (33) واثنتان لليعاقبة هما: مدرسة رأس العين، (34) ومدرسة قنسرين، (35) وتدور الأبحاث فيها كلها في الأمور اللاهوتية والفلسفية.

أما الدولة الفارسية؛ فقد قامت فيها مدرستان: الأولى: مدرسة نصيبين الثانية التي أعاد النساطرة فتحها بعد أن أغلقت الحكومة البيزنطية مدرستهم في الرها، فرحب الفرس بها وسمحوا لعلمائها أن يواصلوا أبحاثهم، وأن يشتغلوا باللاهوت والفلسفة، وتغاضوا عن أعمالهم التنصيرية في نواحي آسيا في سبيل الفائدة التي قد تعود على البلاد منهم.

والمدرسة الثانية: هي مدرسة جند نيسابور قاعدة خوذ ستارة إحدى مقاطعات فارس فتحها كسرى أنوشروان في القرن السادس الميلادي، وجلب إليها العلماء النساطرة، وعهد إليهم التدريس فيها،

29 - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 39

30 - مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية المسيرة، 1546

31 - الملل 64/2 على حاشية الفصل.

32 - الملل 66/3 على حاشية الفصل.

33 - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 47

34 - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 47

35 - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 47

وترجمة الكتب من اليونانية إلى الفارسية، فتأثر الفرس بالحضارة الهندية، وأصبحت مدرستها محطة للتفاعل بين الحضارات الثلاث: اليونانية والفارسية والهندية، ومركزاً للاحتكاك بين الديانتين المسيحية والمجوسية، وقد عملت مدرسة جند يسابور طويلاً، واستدعى أحد علمائها سنة (148هـ) ليعالج المنصور، وكانت تمد الخلفاء العباسيين من بعد المنصور بالأطباء (36)

وقد ساعدتهم ما ذكرنا على الظهور والاشتهار لما يلي:

الأول: أن أخذهم من الفلسفات مما نعى آراءهم وأوجد لهم آراء جديدة.

الثاني: أن نماء موهبة المناظرة عندهم بسبب اتصافهم بهذه الفلسفات وأخذهم عنها جعلهم أبرز فرقة مسلمة تقف أمام الفلاسفة المعادين للإسلام، وهذا مما يرفع من شأنهم ويزيد في شهرتهم.

الثالث: ظهور بعض الفلاسفة المسلمين الذين اشتغلوا بالفلسفة، فورثوا من المعتزلة بعض أقوالهم الفلسفية، وهذا مما يزيد في بقاء أقوالهم وشهرتها (37)

**أبرز شخصيات مذهب المعتزلة:**

**دراسة نقدية لشخصية واصل بن عطاء:**

يعتبر واصل بن عطاء الشخصية الأولى التي نسب إليها مذهب الاعتزال، وهو، كغيره من أصحاب المقالات المبتدعة، يحيط بشخصيته قدر كبير من الغموض، ابتداءً من هذا الولاء المنسوب لبني ضبة، أو لبني مخزوم، والأهم من هذا ظروف النشأة، وتلقي العلم، والغموض في هذا الجانب يظهر من خلال صلاته الفكرية المتعددة أيضاً، فهو مرة يظهر من منتابي مجلس الحسن البصري، ومرة يظهر في مجالس الثنوية والمجوس، ومرة يبدو مختلفاً إلى مجموعة من اليهود، الذين اندسوا بين المسلمين في البصرة، ويهمنا أمام هذه الإشكالات محاولة إيضاح الخلفية الفكرية لهذا الرجل، ودوره في فتح باب الابتداع في عقيدة الأمة الإسلامية.

ونبدأ أولاً بالتعريف بشخصيته؛ فمن حيث الميلاذ، يجمع المؤرخون على أنه ولد في المدينة المنورة سنة "80هـ"، وكنيته أبو حذيفة الغزال، مولى ابن مخزوم، وقيل مولى ابن ضبة، (38) فما طبيعة

36 - عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، ص 47.

37 - مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، 1102.

38 - الجاحظ، البيان والتبيين، 34/1.

هذا الولاء: هل هو من جهة والديه، أم من جهته هو؟ وهل هذا الولاء يعني العبودية التي ينفیها الدكتور النشار عن واصل، مثلما حاول إصاق ولائه ببني هاشم، والذي لم يذكره إلا ابن المرتضى، مخالفاً بذلك جميع من سبقوه؛ حيث يقول الدكتور النشار: "وبالرغم من أنه كان مولی، فقد ولد حراً، مع أن المصادر ساكتة تماماً عن أبويه، فلا تذكر منها شيئاً، غير أننا نلاحظ أنه لم يذكر عنه أنه كان عبداً، بل إن المصادر تذكر أنه كان غزّالاً"<sup>(39)</sup>

**يقول الدكتور الخالدي:**

"بدأت بدراسة (طبقات المعتزلة) لابن المرتضى، وحصرت البحث في ستة وعشرين متكلماً، إخالهم أشهر أصحاب الاعتزال على الإطلاق من القرن التاسع والعاشر للميلاد أي قرون الاعتزال الذهبية، ووجدت أن ستة عشر منهم كانوا من أصحاب الحرف، أو من طبقة أصحاب الحرف، أو من طبقة التجار الصغار، ولم أتوصل إلى معرفة ما تبقى منهم، وإليكم بعض الأمثلة: عمرو بن عبيد "ت (144هـ)"، كان أبوه نساجاً، واصل بن عطاء "ت (131هـ)"، ويلقب بالغزال، العلاف "أبو الهذيل ت (235هـ)"، وكان يلقب بالعلاف؛ لأن داره بالبصرة كانت في العلافين، النظام "مات في خلافة المعتصم"، كان ينظم الخرز في سوق البصرة؛ لأجل ذلك قيل له النظام، بشر بن المعتز "ت (210هـ)"، كان نحاساً في سوق الرقيق، هشام بن عمرو الفوطي، هذه النسبة إلى الفوطة، وهي نوع من الثياب، الجاحظ "ت (255هـ)"، كان وراقاً، أبو يعقوب يوسف الشحام، هذه النسبة إلى بيع الشحم، أبو عيسى الوراق، كان وراقاً، جعفر بن مبشر القصبي "ت (234هـ)"، كان يبيع القصب، أبو جعفر الإسكافي "ت (240هـ)"، كان الإسكافي خياطاً، أبو الحسين الخياط، كان خياطاً، أبو مسلم النقاش، كان نقاشاً"-<sup>(40)</sup>

فإذا كانت غالبية متكلمي المعتزلة يحترفون هذه المهنة، فلماذا ينفي عن واصل أنه كان غزّالاً؟ مع أن الذي يفهم من شعر بشار بن برد في واصل أنه كان غزّالاً بالفعل؛ حيث يقول:

ما لي منيت بغزال له عنق      كنتنق الدو إن ولي وإن مثلاً

<sup>39</sup> - النشار، نشأة الفكر، 1/382.

<sup>40</sup> - د. طريف الخالدي، دراسات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، ص 31، 32.

عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالاً كفروا رجالاً (41)  
 فلو كانت التسمية ملازمة لسوق الغزالين، لما كان وصفه بالغزال مناسباً، ولكن الشعراء الذين  
 هجوه وصفوه بالغزال، بينما الشعراء المحبون له كانوا ينعنونه بأبي حذيفة، أو يذكرونه باسمه، وقد  
 هجاه الشاعر إسحاق بن سويد العدوي "ت 131 هـ؛" فقال:

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب  
 ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب (42)  
 وقال معدان الشميطي يهجو الخوارج، والمعتزلة، وغيرهم:

لا حروراء لا النواصب تنجو لا ولا صحب واصل الغزالي (43)  
 وكان مادحوه يذكرونه باسمه فقط، كأسباط بن واصل الشيباني؛ حيث قال:  
 وأشهد أن الله سماك واصلًا وأنك محمود النقيبة، والشيم (44)  
 وكان بشار قد مدحه قبل أن يختلف معه، ولم يذكر لقب الغزالي؛ فقال:  
 أبا حذيفة قد أوتيت معجبة في خطبة بدعت من غير تقدير (45)

ومن هنا، فإن لقب الغزال قد يكون موافقاً لحرفته التي يعمل بها، ولا عيب في ذلك، ولكن الذي  
 تعاب به المعتزلة حقاً أن هذه الظاهرة تبين عدم انتظام علماء المعتزلة في حلقات العلم، ولا يعدون  
 من رواة الحديث، وعندما أطلقوا العنان لعقولهم؛ لتخوض في العقيدة كما تشاء، برزت الانحرافات  
 العقديّة، التي انشغل بها علماء الأمة؛ للرد، والتصحيح، فلعل مثل هؤلاء الحرفيين كانوا يخوضون في  
 مسائل الدين على هواهم، وهذا ما حدث فعلاً -

وأما صفاته الخلقية، فقد كان طويل العنق جداً؛ بحيث كان يعاب به، (46) وقد عابه لطول عنقه  
 صاحبه عمرو بن عبيد، وقال: "أني هذا، وله عنق لا يأتي معها بخير" (47)، ومن صفاته

41 - الجاحظ، البيان والتبيين . 1/23

42 - الجاحظ، البيان والتبيين 23/1

43 - الجاحظ، البيان والتبيين 23/1

44 - الجاحظ، البيان والتبيين ، 23/1

45 - الجاحظ، البيان والتبيين ، 23/1

46 - ابن خلكان، وفات الأعيان ، 10/6

الخلقية أيضاً أنه كان ألثغ في الرء، شديد اللثغة بها؛ حيث يقول المبرد: "وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب؛ وذلك أنه كان ألثغ، قبيح اللثغة في الرء، فكان يخلص كلامه من الرء" (48) ويقول الجاحظ عن هذه اللثغة: ولما علم واصل أنه ألثغ، فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذا كان داعية مقالة، ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل، وزعماء الملل... رام أبو حذيفة إسقاط الرء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه" (49)

### طلبه العلم:

سبق لنا القول بأن واصل بن عطاء، ولد سنة (80هـ)، وكانت ولادته في المدينة المنورة، ولا نعثر على أي نص يفيدنا عن طبيعة نشأته الأولى، وتلقيه للعلم، أو مدة إقامته في المدينة، وزمن ذهابه إلى البصرة؛ حيث يظهر في مجلس الحسن البصري، والسؤال المتبادر إلى الذهن: هل عاش واصل في المدينة المنورة فترة من الوقت تؤهله للتلقي عن علمائها الذين كانوا من أشد الناس التزاماً بالسنة، وبعداً عن البدعة، أم أنه غادر المدينة في فترة مبكرة من عمره، ولم تتح له فرصة التلقي عن علمائها؟ وهل كانت مهنته "العمل في الغزل" تحول بينه، وبين تلقي العلم، إذا علمنا أنه لم يرو حديثاً واحداً، ولا عده علماء الرجال، والطبقات، من رواة الحديث، أم أنه كان في المدينة يعاني من العبودية، والولاء، فلما ذهب إلى البصرة لازم مجالس الحسن البصري، فبدأ يطرح إشكالاته الفكرية، التي تنم عن ضحالة في العلم الشرعي، والعقدي.

إن هذه الإشكالات لا تملك عليها إجابة في كتب العلماء الثقات، التي تبني عليها الحقائق، ولكن كتاب المعتزلة القدماء، ومن ناصرهم من المعاصرين، تداركوا هذا الجانب، وبدءوا بالبحث عن تلمذة لواصل، فنسبوه إلى البيت الهاشمي، وهذا ما سوف نفضله.

فقد وضع ابن المرتضى محمد بن الحنفية "ت (81هـ)" في الطبقة الثانية من طبقات المعتزلة، ثم قال: "وأما محمد بن الحنفية، فقد مر أن واصلاً أخذ علم الكلام عنه، وصار كالأصل لسنده"، إلى

<sup>47</sup> - ابن المرتضى، المنية والأمل، ص 140.

<sup>48</sup> - الكامل في اللغة، 2/144.

<sup>49</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، 1/15.

أن قال: "وسئل أبو هاشم عن محمد بن علي؛ عن مبلغ علمه، فقال: إن أردتم معرفة ذلك، فانظروا إلى أثره في واصل بن عطاء، وقال شبيب بن شبة: ما رأيت في غلمان بن الحنفية أكمل من عمرو بن عبيد، فقليل له: متى اختلف عمرو بن عبيد إلى ابن الحنفية، قال: إن عمرا غلام واصل، وواصل غلام محمد" (50)

ونحن أمام هذا النص نميل لأحد الاحتمالين الآتيين:

**الاحتمال الأول:** أن نصدق بهذه الحملة الشرسة التي شنها المعتزلة على أرجاء العالم الإسلامي، داعين لنفي القدر، والصفات، ونشر البدع العقيدية، وبذر بذور الفرقة، والاختلاف، في الأمة؛ عن طريق محاربة.

### منهج السلف في العقيدة:

**الاحتمال الثاني:** أنها حملة مزعومة، لا أساس لها من الصحة؛ وذلك لأنني حاولت، بعد جهد طويل، العثور على تراجم هؤلاء المذكورين، فلم أحصل إلا على عثمان الطويل، وما وجدت ما قاله ابن المرتضى عنه في كتب أهل السنة، وهذا أيضاً يجتمل أن هذه الشخصيات كانت مغمورة، تدعو لبدعتها في الخفاء، بعيداً عن معرفة علماء السلف بها، حتى تؤسس هذه النحلة المبتدعة، ومما لا شك فيه أن هذه الدعوة البدعية أيضاً أحدثت بين المسلمين جدالاً، وإشكالاً واسعاً، لم ينته إلى وقتنا الحاضر، فكانت من أخطر البدع التي ابتليت بها الأمة، وما خلاف المسلمين في مسائل العقائد إلا أنه نابع من أصول المعتزلة، والجهمية، التي تحدثت مع معظم الفرق البدعية، وخاصة في مناطق التشيع، وحتى الخوارج استقوا مباحثهم الكلامية، فيما بعد، من مناهج المعتزلة.

وعندما حدثت محنة خلق القرآن، التي كان سببها المعتزلة، فرحت فرق الضلال بالاضطهاد الذي لاقاه علماء السلف؛ وأولهم الإمام أحمد، وأعجبت بما تدعو إليه المعتزلة، فكان التلاقي، والذوبان في مسائل العقيدة بين مختلف الفرق، وخاصة الشيعة؛ ومما عزز اتحاد هذه الفرق مع المعتزلة هزيمة المعتزلة في النهاية، وظهور منهج السلف، وسيادته على الأمة، فعادت هذه الفرقة تبحث في سراديب الظلام عن فتن، ومكائد؛ لضرب هذا المنهج الفطري الذي يدين به جمهور الأمة،

50 - ابن المرتضى، المنية والأمل ص 131.

فحدثت بعد ذلك انحرافات عقديّة، خرج أغلبها من رحم المعتزلة العفن، واليوم تبرز الدعوات من جديد؛ لإحياء هذا الفكر المبتدع، والعقيدة الضالة، ولكن هذه الصحوة المباركة بدأت تتلمس طريقها بالبحث عن منهج السلف، وإحيائه؛ لصد الهجمة الاستشراقية الاعتزالية الجديدة، التي يجب أن يزال الستار عن تخريبها العقدي، وخوضها في ذات الله، وصفاته، وقضائه، وقدره، خوفاً باطلاً، لا دليل يسنده إلا اتباع الهوى، والشيطان-

هذه نبذة عن حياة واصل بن عطاء، الذي توفي سنة "إحدى وثلاثين ومئة"- (51) وقد ذكر أن له جملة من التصانيف، ولم يصلنا شيء منها؛ مثل: "أصناف المرجئة، وكتاب التوبة، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، وكتاب خطبته التي أخرج منها الرء، وكتاب خطب التوحيد، والعدل"- (52)

وسوف نتقل لنعطي صورة أخرى عن عمرو بن عبيد، الرجل الثاني من رجالات الاعتزال:  
دراسة نقدية لشخصية عمرو بن عبيد بن باب:

ولد عمرو بن عبيد سنة (80هـ)، (وهو مولى لبني تميم، وجده "باب، من سبي فارس، مولى لآل عرادة، من بلعدوية، من حنظلة تميم، وعبيد أبو عمرو، كان ناسجاً، ثم تحول شرطياً للحجاج، وهو من سبي سجستان"- (53)

وقال ابن قتيبة، والفسوي (ت 277هـ): "هو عمرو بن عبيد بن باب، مولى لآل عرادة بن يربون بن مالك، ويكنى أبا عثمان، وكان عبيد أبوه يختلف إلى أصحاب الشر "ولعله يقصد الشرط" بالبصرة؛ فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه، قالوا: خير الناس ابن شر الناس، فيقول عبيد: صدقتم هذا إبراهيم، وأنا آزر"- (54)

يتضح لنا من هذه النصوص أن عمرو بن عبيد، ووالده، وجده، هم من الموالي، وواضح أيضاً أن هذا الولاء يعني العبودية؛ لأنهم أخذوا من السبي، والذي يهمننا هو طبيعة النشأة التي عاشها عمرو

51 - ابن الخطيب، تاريخ بغداد 12/187

52 - ابن سعد، الطبقات 7/201

53 - ابن الخطيب، تاريخ بغداد. 12/166

54 - ابن قتيبة، المعارف ص 272.



في ظل والده، ومن الملاحظ أن عمرا في بداية حياته كان مستقيماً؛ ملازمته لمجلس العلم، ولكن والده كان يتوسم فيه شيئاً آخر: حيث

"قيل لعبيد بن باب أبي عمرو بن عبيد، وكان من حرس السجن: إن ابنك يختلف إلى الحسن، ولعله أن يكون.. قال: وأي خير يكون من ابني، وقد أصبت أمه من غلول، وأنا أبوه؟"- (55) طلبه العلم:

ولقد كان عمرو، يختلف إلى مجلس الحسن البصري في سن مبكرة، ولعل هذا المجلس كان له أثره في نشأته العلمية فيما بعد، ولكن عمرو بن عبيد كان يأخذ من مشارب شتى، خلطت عليه ذلك الخير الذي كان يتلقاه في مجلس الحسن البصري؛ حيث كان يصاحب واصلًا إلى مجالس الثنوية والمجوس التي سبق وأشرنا إليها، فلا نعلم إذا كانت هذه المجالس أثرت به؛ حتى أخذ عنهم مقالاته الفاسدة، فيما بعد، وبعكس واصل، فلم يزعم أحد أن عمرو بن عبيد قد تلقى العلم من آل البيت الهاشمي، إلا ما قاله "طاش كبرى زاده" متابعاً بذلك لابن المرتضى، الذي يقول "على لسان شبيب ابن شبة" ما رأيت من غلمان ابن الحنفية أكمل من عمرو بن عبيد، فقبل له: متى اختلف عمرو بن عبيد إلى ابن الحنفية، فقال: إن عمراً غلام واصل، وواصل غلام محمد"- (56)

وقد سبق وبيننا تحافت هذا الزعم؛ فابن الحنفية توفي بعد ميلاد واصل بسنة، واحدة، ومحال على طفل رضيع أن يتلقى العلم، ثم إن عمرا قرين واصل في العمر، فكيف يكون غلامه؟! وقد رد الدكتور النشار على "طاش كبرى زاده"، فقال: "وهذا خطأ؛ فإن عمرو بن عبيد لم يتقابل مع أبي هاشم إطلاقاً"- (57)

### الزهد، والورع:

وكان عمرو بن عبيد مشهوراً في زهده، وورعه، ولعل نص ابن حبان "ت (354هـ)" الذي سبق يؤكد ذلك، ولكن هذا الزهد، والورع، لم يمنعه من الابتداع، والإحداث في الدين، وقد قام ببناء

<sup>55</sup> - ابن الخطيب، تاريخ بغداد. 12/175

<sup>56</sup> - ابن المرتضى، المنية والأمل ص 131.

<sup>57</sup> - النشار، نشأة الفكر. 1/400

علاقات طيبة مع أبي جعفر المنصور، وكان لورعه وزهده، الأثر في هذه العلاقة؛ حيث اغتر به المنصور؛ ولهذا السبب غفل عن بدعته في الدين-

فقال: يا أبا عثمان، عظمي: فقال: إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك، لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك، فأحذرك بليلة تمخص بيوم لا ليلة بعده"-(58)

### الطلاب:

سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري أبي زيد

يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزبيرقان البغدادي أبي بكر

عبدة بن حسان بن عبد الرحمن السنجاري

عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان أبي عبدة البصري التنوري-

### الترجمة:

عمرو بن عبدة: الزاهد، العابد، القدرى، كبير المعتزلة وأوهم أبي عثمان البصري. له، عن أبي العالقة، وأبي قلابة، والحسن البصري. وعنه: الحمادان، وعبد الوارث، وابن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الوهاب الثقفي، وعلي بن عاصم، وقريش بن أنس ثم تركه القطان.

وقد رثاه المنصور، وله كتاب "العدل" و"التوحيد"، وكتاب "الرد على القدرية" يُرِيدُ السُّنَّةَ. ومن كتاب تلامذته: عثمان بن خالد الطويل شيخ العلاف، وأبي حفص عمر بن أبي عثمان الشمزي.

سير أعلام النبلاء - لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي

عمرو بن عبدة بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين. كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجا ثم شرطيا للحجاج في البصرة.

واشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره.

وفيه قال المنصور: "كلكم طالب صيد، غير عمرو بن عبدة". له رسائل وخطب

وكتب، منها "التفسير" و"الرد على القدرية". وكتبه الرد على القدرية -وتوفي بمران (بقرب مكة)

ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه، سواه. وفي العلماء من يراه مبتدعا-

## المصادر والمراجع

1. ابن العربي، ابو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المالكي، احكام القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان-
2. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
3. ابن عبدالحكم، ابو محمد عبدالله، سيره عمر بن عبدالعزيز، عالم الكتب، بيروت، ط/السادسة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م-
4. ابو عبيد، القاسم بن سلام البغدادي، الاموال، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، مصر- اسفرايني ابو المظفر طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز
5. الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين-
6. الحميري، نشوان بن سعيد، الحور العين، مكتبة الخانجي، 1948
7. د. طريف الخالدي، دراسات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، دار صادر، بيروت-
8. الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ميزان الاعتدال، دار صادر، بيروت
9. سعد الدين التفتازاني، العقائد النسفية، دار صادر، بيروت
10. الطبري، ابن جرير، تاريخ الأمم والرسول، دار صادر، بيروت
11. عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، دار صادر، بيروت
12. عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مكان النشر: بغداد؛ الناشر: مطبعة الإرشاد، تاريخ النشر.
13. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار صادر، بيروت
14. عبدالرحمن زكي ابراهيم، مقدمة في اقتصاديات النقود والبنوك، دار الجامعات المصرية، مصر-
15. عبدالرحمن فهمي محمد، النقود العربية، مطبعة مصر، عام ١٩٦٤م-
16. عبدالرحمن يسرى احمد، اقتصاديات النقود، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٧٩م-

17. عبدالرزاق، ابو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المصنف، منشورات المجلس العلمي، بيروت-
18. عبدالعليم خضر، اسس المفاهيم الاقتصادية في الاسلام، نشر رابطة العالم الاسلامي، سلسلة دعوة الحق، بيروت، لبنان-
19. عبدالقادر عودة، التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، بيروت-
20. عبدالقادر عودة، المال والحكم في الاسلام، الدار السعودية، جدة، ط/الخامسة، 1984م-
21. عبدالكريم زيدان، الفرد والدولة في الشريعة الاسلامية، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط/الرابعة، 1405هـ، 1985م-
22. عبدالمنعم راضي، اساسيات النقود والبنوك، مؤسسة دار التعاون، القاهرة، مصر، 1973م-
23. عبدالمنعم فوزي، المالية العامة والسياسة المالية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1965م-
24. عواد بن عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق.
25. كحال5، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار صادر، بيروت
26. مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت
27. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (المتوفى: 711هـ) لسان العرب.